الفصل الخامس والعشرون

في إحدى الأمسيات، بينما كنا نتسامر في غرفة أمي، قال إبراهيم: أفكر في الذهاب أنا ومريم والأولاد لأسبوع إلى رام الله، لزيارة محمد ولتغيير الأجواء!! أجابت زوجتا محمود وحسن معاً بأن الفكرة ممتازة، وظل محمود وحسن صامتين، أما أمي فكانت تنظر من طرف خفي لملامح وجه إبراهيم، محاولة أن تقرأ من وجهه ما لم تصرح به كلماته، وكأنه أدرك هواجسها فقال موجهاً لها الحديث: ما رأيك يا عمتي؟ وما رأيك أن تأتي معنا، نزورهم لعدة أيام تنفسح في رام الله والضفة الغربية ثم نعود. وكأنها اطمأنت حين دعاها للذهاب فقالت: أنا كبرت ولم أعد قادرة على السفر، فاذهبوا أنتم إن شئتم، فقالت مريم: اذهبي يا أمي فليس هناك تعب فالسيارة ستأخذك من باب البيت هنا إلى باب البيت هناك، والتفتت إلى إبراهيم متسائلة: سنذهب بسيارتنا يا إبراهيم أليس كذلك؟ فأجاب إبراهيم: متى شئت غداً إن شئت أو في أي وقت تشائين بعد يومين بعد أسبوع، فردت دعني أفكر حتى الصباح، وغداً سأرد عليك.

في اليوم التالي اعتذرت أمي عن الذهاب، ودعت لهما بالتوفيق في سفرهما، حيث انطلق إبراهيم بزوجته وابنته إلى رام الله، أثناء الطريق كان يُعرف مريم وإسراء على المناطق التي يمرون بها، وقد توقف في الطريق، حيث نزلوا من السيارة وهو يحمل ياسر، ويخاطبه وهو وأمه وأخته أن هذه أرض بلدنا التي هجر منها جدي وأبي وعمي، أرض بلدتنا الفالوجة، مكثوا بعض الوقت ثم انطلقوا بسيارتهم من جديد، حتى وصلوا رام الله واستقبلهم محمد وزوجته أحسن استقبال وقضوا أول ليلهم في السمر، ثم ذهبوا للنوم، في الصباح ذهب إبراهيم ليوصل محمداً إلى الجامعة، ورغم محاولات محمد ثنيه عن ذلك فقد أصر إلا أن يوصله للجامعة، مبرراً ذلك أنه سيجد في ذلك فرصة للتعرف على الجامعة ورؤيتها.

نزل محمد من السيارة ليذهب إلى عمله،وأوقف إبراهيم السيارة وأغلقها ونزل يتمشى بين الطلاب ليفحص الوجوه، حين وجد أحد الشباب، حيث توسم فيه أنه سيدله إلى من يريد توجه إليه سائلاً إياه عن مبتغاه، فأرشده الطالب لجهة معينة، انطلق إليها، دخل أحد المقاصف وتوجه نحو طاولة يجلس عليها بعض الشبان، بعضهم ملتحون، رد عليهم السلام، وسألهم عن مبتغاه فقام أحدهم ليدله، سار إبراهيم وراءه، حتى أوصله إلى أحد الشبان، واضح أن إبراهيم كان يعرفه من قبل، حيث إنه منذ أن رآه شكر الشاب وتقدم وحده لذلك الشاب "صلاح" الذي استقبله بحرارة بالغة، تحدثا سوياً بعض الوقت، وافترقا على أمل أن يأتيه الشاب بعد قليل إلى سيارته وعاد إبراهيم إلى سيارته، حيث جلس فيها منتظراً.